صنعاء تدخل معركة "وحدة الساحات" دعمًا لغزة

قراءة في الخلفيات والانعكاسات

11/30/23

صنعاء تدخل معركة "وحدة الساحات" دعمًا لغزة
قراءة في الخلفيات والانعكاسات

مقدمة

في 31 أكتوبر 2023، أعلن اليمن دخوله رسميًا معركة إسناد غزة، ضمن وحدة ساحات محور المقاومة في المنطقة. ومنذ هذا التاريخ توالت العمليات اليمنية التي شكلت مصدر قلق للكيان الإسرائيلي، مع توالي الجبهات ضده وتشتت حساباته العسكرية وفشل منظوماته الدفاعية في صد الصواريخ والمسيرات اليمنية

وإن كان الموقف الداعم لفلسطين بوجه الإبادة الصهيونية قد لاقى ترحيبًا عربيًا، وموقفًا يمنيًا جامعًا بعيدًا عن الحسابات والخلافات السياسية، إلا أنه قوبل بالتهديد من قبل السعودية التي سخرت دفاعاتها الجوية لصد الصواريخ اليمنية الموجهة للكيان.

ومع توالي المجازر الإسرائيلية، تصاعدت التهديدات اليمنية، وصولًا إلى المنعطف الذي مثله الإعلان اليمني عن السيطرة على سفينة إسرائيلية في البحر الأحمر. كانت الرسالة واضحة: صنعاء التي لم تفعل ورقة باب المندب طوال سنوات العدوان، جاهزة لتفعيلها الآن دعمًا لغزة. رسالة خلطت الأوراق وفاقمت خسائر الاقتصاد الإسرائيلي وعرقلت شحناته، في انعكاس على قدرة تأثير القدرات اليمنية على ديناميكيات الصراع في المنطقة..

فما أهمية دخول اليمن معركة وحدة الساحات؟ وما هي تداعيات هذه التدخل على الكيان الإسرائيلي؟ وكيف ستكون آثاره على مفاوضات السلام اليمنية؟

منذ عملية طوفان الأقصى وبدء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في 7 أكتوبر 2023، كان اليمن حاضرًا في القول والفعل.

تظاهرات حاشدة عمّت مختلف المحافظات اليمنية، من شمالها إلى جنوبها، وعلى اختلاف توجهاتها السياسية، لتقف موقفًا موحدًا مع الفلسطينيين ضد ما يتعرضون له من مجازر وإبادة جماعية على يد الاحتلال الإسرائيلي.

ومع تواصل العدوان، كان الموقف اليمني في تصاعد، وبدأت الرسائل تصل تباعًا بأن صنعاء لن تظل تقف موقف المتفرج والفلسطينيون في غزة يبادون. الموقف الرسمي عبّر عنه قائد أنصار الله، السيد عبد الملك الحوثي، في 10 أكتوبر 2023، إذ أعلن أن صنعاء مستعدة للمشاركة بالقصف الصاروخي والمسيّرات، إذا تدخّل الأميركي عسكريًا وبصورة مباشرة، مؤكدًا التنسيق مع محور المقاومة. وفي 22 أكتوبر، جاء التأكيد مجددًا على لسان رئيس الوزراء في حكومة صنعاء، عبد العزيز بن حبتور، بأنّه إذا استمر الاعتداء على غزة، فستتعرض السفن الإسرائيلية للضرب في البحر الأحمر، وأنّ صنعاء ساهمت وستساهم، عبر كل الإمكانات، في الرد على المجازر في غزة.

القضية الفلسطينية في الوجدان اليمني

تمتد جذور القضية الفلسطينية إلى عشرينيات والثلاثينيات القرن الماضي، مع بداية المشروع الصهيوني حتى ما قبل احتلال فلسطين. ولايزال هذا الارتباط متأصلًا في الفكر اليمني، وتاريخيه وهويته.

يستعرض كتاب يمنيون مراحل تظهر مدى ارتباط اليمنيين وجدانيًّا بالقضية الفلسطينية منذ بواكيرها، ونستخلص أبرز محطات هذا التضامن:

- في أواخر ثلاثينيات القرن الماضي (1938)، كانت تنشط حركة جمع التبرعات من اليمنيين لصالح فلسطين.
- في فترة النكبة الأولى 1948 والثانية 1967، مرورًا بسبتمبر 1970 (أيلول الأسود)، وصيف 1982، وصلت بعضٌ من القوات والأسر الفلسطينية إلى اليمن، وفُتح لها معسكران في صنعاء (باسم صبرا)، وعدن (باسم شاتيلا)، إلى جانب متطوعين في فصائل المقاومة الفلسطينية اللبنانية التي تصدت للاحتلال الإسرائيلي جنوبي لبنان.
- في الانتفاضة الأولى عام 1987، شهد اليمن حملات مساندة وكبيرة ومهرجانات سياسية وثقافية كبيرة، حضرها الكثير من المثقفين والمفكرين والأدباء والفنانين العرب.
- وفي الانتفاضة الثانية عام 2000 (انتفاضة الأقصى)، كان للقضية الفلسطينية حضورٌ واضحٌ في اليمن، فتسمت بشهدائها ورموزها المدارسُ والشوارع.
- خلال سنوات الحرب الثماني في اليمن، لم يجمع اليمنيون في الجنوب والشمال مثلما جمعتهم غزة، فخرجت المظاهرات المسانِدة للصمود الفلسطيني في كل المدن.

بالنسبة لأنصار الله، مثّلت القضية الفلسطينية عامودًا أساس في صميم تأسيس الحركة الثورية التي استمدت وجودها من مفاهيم الثورة القرآنية والجهادية. يقول الشهيد القائد حسين بدرالدين الحوثي، في يوم القدس عام 2001، في المحاضرة الأولى ضمن سلسلة المحاضرات التي تحولت لاحقًا إلى مرجع للمشروع الثقافي للمسيرة القرآنية: "إن فلسطين قضية المسلمين جميعًا حتى لو اعترف الفلسطينيون أنفسهم بإسرائيل، حتى

لو رضوا بأن يكونوا عبارة عن مواطنين داخل دولة إسرائيل فإنه لا يجوز للمسلمين أن يقروهم على ذلك ولا يجوز للمسلمين أن يتخلوا عن جهادهم في سبيل إزالة هذه الغدة السرطانية".

وعام 2002، كانت "الصرخة" مصداقًا للالتزام اليمني بدعم فلسطين: "نعود من جديد أمام هذه الأحداث لنقول: هل نحن مستعدون ألا نعمل شيئًا؟ ثم إذا قلنا نحن مستعدون أن نعمل شيئًا فما هو الجواب على من يقول: ماذا نعمل؟ أقول لكم أيها الاخوة اصرخوا، ألستم تملكون صرخة أن تنادوا: [الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]، أليست هذه صرخة يمكن لأي واحد منكم أن يطلقها؟ أصرخوا وتكونون أنتم أول من صرخ هذه الصرخة التي بالتأكيد، ستكون صرخة ليس في هذا المكان وحده، بل وفي أماكن أخرى، وستجدون من يصرخ معكم في مناطق أخرى.

ويرى عبد الرحمن الأهنومي، رئيس تحرير صحيفة الثورة اليمنية، أن هذا الشعار لم يبلور في مستوياته العقائدية والثقافية والسياسية والإعلامية فحسب، بل حتى الاستراتيجية العسكرية والأمنية للمشروع القرآني تم بناؤها وترسيخها أيضًا على هذا النحو. ولهذا كانت صواريخ قدس، في مداها البعيد، ترجمة لذلك، وأصبحت أجيالها الأربعة، مصوَّبة على الكيان الصهيوني بصورة أساسية.

اليمن يدخل معركة إسناد غزة

يوم الخميس 19 أكتوبر 2023، أعلنت وزارة الدفاع الأميركية أن البارجة الأميركية، "يو أس أس كارني"، أسقطت صواريخ قرب اليمن، من المحتمل أن تكون مُوجَّهة نحو أهدافٍ في "إسرائيل". فيما أفاد مسؤول عسكري أميركي، لشبكة "سي أن أن"، بأنّ البحرية الأميركية اعترضت 4 صواريخ "كروز" و15 طائرةً مسيّرةً، قبالة سواحل اليمن. وأن عملية الاعتراض للصواريخ الموجّهة نحو أهداف إسرائيلية، استغرقت 9 ساعات.

وفي تفاصيل الإعلان الأول من العمليات، فإن العملية الأولى نفذت بتاريخ 18 أكتوبر، والثانية بتاريخ 27 أكتوبر، والثالثة بتاريخ 31 أكتوبر، على طول المسافة من اليمن جنوبي شرق البحر الأحمر إلى فلسطين المحتلة شرقي المتوسط، عبر الصواريخ والطائرات المسيرة نحو أهدافها. استخدمت في هذه العمليات عشرات صواريخ "كروز" المجنحة من نوع قدس، وعشرات الطائرات المسيرة ذات المدى البعيد، علاوة على عشرات الصواريخ الباليستية. أما الأهداف، فكان أهمها مركز مفاعل ديمونا النووي في صحراء النقب وإيلات ومحيطها.

هذا التطور النوعي في ميزان المعادلة العسكرية في المنطقة، فتح الباب واسعًا أمام التحليلات، وبرزت المخاوف الإسرائيلية من انضمام اليمن إلى معادلة وحدة الساحات التي فرضتها قوى المقاومة في المنطقة. وبناءً عليه، اتخذ كيان الاحتلال خطوات احترازية، من بينها إعلان شركة الطيران الإسرائيلية "العال" عن أنّها ستتخلى عن التحليق فوق السعودية.

على الخط نفسه، كان استهداف من نوع آخر، يطال أهدافًا عسكرية إسرائيلية في المنطقة، إذ أشارت مصادر عسكرية عن هجومين تعرضت لهما قوات إسرائيلية في إريتريا، الأوّل وقع في قاعدة إسرائيلية في أرخبيل دهلك، والثاني استهدف مركز مراقبة إسرائيلي في جبل "أمبا سوير".

شغلت الصواريخ اليمنية التحليلات الإسرائيلية والأميركية، وكثر الحديث عن مواصفات هذه الصواريخ وقدرتها على بلوغ أهدافها. بحسب الإعلام الإسرائيلي، أطلقت القوات اليمنية صواريخ برؤوس حربية تزن ما مجموعه 1.6 طن، في اتجاه منطقة الفنادق في إيلات، و15 طائرة مسيّرة انتحارية، تحمل كل منها رأسًا حربيًا وزنه نحو 40 كلغ. المتحدث باسم البنتاغون قال إن مدى الصواريخ كان أكثر من 2000 كلم، في اعتراف بقدرة هذه الصواريخ على الوصول إلى أهدافها في الكيان. وهو ما تناولته صحيفة وول ستريت جورنال بالكشف عن أن الهجوم كان أكبر ممّا وصفه البنتاغون في البداية، وقد تم بخمسة صواريخ كروز و30 طائرة من دون طيار.

لكن بالإضافة إلى الصواريخ، كان في جعبة اليمنيين المزيد. طائرة مسيّرة من ناحية البحر الأحمر، تخترق الأراضي المحتلة، وتتسلل إلى إيلات، قبل أن يتم اعتراضها من الجانب الإسرائيلي. لاحقًا، جيش الاحتلال يعلن تفعيل منظومة "السهم-حيتس" الدفاعية للمدى الطويل، لأول مرة لاعتراض صاروخ أرض-أرض أطلق من البحر الأحمر. الصاروخ الذي يتراوح مداه بين 1000 و1500 كيلومتر، يحمل مئات الكيلوغرامات من المواد المتفجرة، وقد استخدم الكيان لصده منظومة "آرو 3" المصممة للدفاع الصاروخي بعيد المدى واعتراض الصواريخ الباليستية خارج الغلاف الجوي للأرض.

بعدها بساعات، جاء الإعلان الرسمي على لسان المتحدث باسم القوات المسلحة اليمنية يحيى سريع ما مفاده: اليمن يدخل الحرب رسميًا نصرة لغزة. وجاء في نص البيان: قامت قواتنا المسلحة بإطلاق دفعة كبيرة من الصواريخ الباليستية والمجنحة وعدد كبير من الطائرات المسيرة على أهداف مختلفة للعدو الإسرائيلي في الأراضي المحتلة. إن القوات المسلحة اليمنية تؤكد أن هذه العملية هي العملية الثالثة نصرة لإخواننا المظلومين في فلسطين، وتؤكد استمرارها في تنفيذ المزيد من الضربات النوعية بالصواريخ والطائرات المسيرة حتى يتوقف العدوان الإسرائيلي". وهي بذلك تكون خامس جبهة تفتح على الكيان بعد غزة والضفة الغربية، ولبنان وسوريا، لتشغل الكيان عسكريًا من جهة الجنوب.

ومنذ البيان الأول الذي أعلن عن 3 عمليات إسنادًا لجبهة غزة، توالت البيانات مع تواصل العمليات:

- 1 نوفمبر، أطلقت القوات المسلحة اليمنية دفعة كبيرة من الطائرات المسيرة على أهداف عدة في عمق الكيان.
- 6 نوفمبر، أطلقت القوات المسلحة اليمنية دفعة من الطائرات المسيرة على أهداف مختلفة وحساسة في الأراضي المحتلة، وكان من نتائج العملية توقف الحركة في القواعد والمطارات المستهدفة لعدة ساعات.
- 8 نوفمبر، إسقاط طائرة أمريكية MQ9 أثناء قيامها بأعمال عدائية ورصد وتجسس في أجواء المياه الإقليمية اليمنية وضمن الدعم العسكري الأمريكي للكيان الإسرائيلي.
- 9 نوفمبر، إطلاق دفعة من الصواريخ الباليستية على أهداف مختلفة وحساسة جنوبيّ الأراضي المحتلة منها أهداف عسكرية في منطقةِ أُمِّ الرشراشِ "إيلات".

- 14 نوفمبر، إطلاق دفعة من الصواريخ الباليستية على أهداف مختلفة في الأراضي الفلسطينية المحتلة منها أهداف حساسة في منطقة أم الرشراش "إيلات"، بعد 24 ساعة من عملية عسكرية أخرى نفذت بالطائرات المسيرة على الأهداف نفسها.

- 19 نوفمبر، الاستيلاءُ على سفينةٍ إسرائيليةٍ في البحر الأحمر واقتيادها إلى الساحلِ اليمني.
- 22 نوفمبر، إطلاق أطلقت دفعة من الصواريخ المجنحة على أهداف عسكرية مختلفة للكيان الإسرائيلي في أم الرشراش جنوبي فلسطين المحتلة.

في المواقف اليمنية

إلى جانب العمليات العسكرية، احتفلت قوات خاصة من لواء القدس في المنطقة العسكرية المركزية بتخرج دفعة عسكرية باسم "طوفان الأقصى". تضمن الاحتفال عرضًا للتشكيلات العسكرية، تلا ذلك إجراء مناورة عسكرية، بالذخيرة الحية لأفراد القناصة من قوات لواء القدس في المنطقة العسكرية المركزية، لمواقع العدو الافتراضية.

تصاعد العمليات جاء مترافقًا للتصعيد في لهجة الخطاب اليمني، إذ رسمت التصريحات اليمنية الحد الفاصل للموقف من العدوان على غزة، مع التأكيد ألا تراجع عن هذا الموقف مهما بلغت التضحيات. وأكد رئيس حكومة الإنقاذ اليمنية عبد العزيز بن حبتور أن اليمن جزء من محور المقاومة ويشارك بالقول وبالكلمة وبالمسيّرات. وأشار إلى تنسيق يجري وغرفة عمليات مشتركة وقيادة مشتركة لكل هذه العمليات.

وعلى المقلب الآخر، كانت التصريحات اليمنية تندد بالتخاذل العربي والخليجي، وتطالب بموقف حازم دعمًا للفلسطينيين بوجه الإبادة الجماعية. المتحدث باسم أنصار الله محمد عبد السلام، أكد أن العرب مطالبون أكثر من أيّ وقت بتحمل المسؤولية إزاء أهل غزة ودعم الشعب الفلسطيني. وردًا على نشر الولايات المتحدة أساطيلها قرب اليمن، أكد أن التهديدات الأميركية لا تعنيهم.

التدخل اليمني في مرآة الإعلام الإسرائيلي والغربي

معاريف الإسرائيلية: الهدف من وراء هذه الرشقات التي نفذها الحوثيون هي محاولة فتح جبهة أخرى في القتال ضد إسرائيل وتهديد النقب وإيلات. يجب التحذير من انتشار الصراع في المنطقة وجذب المزيد من اللاعبين المعادين لإسرائيل مع تفاقم الحرب.

ليفيغارو الفرنسية: "إسرائيل" خاضت للمرة الأولى في تاريخها العسكري، معركة ضد صاروخ باليستي، حلق خارج الغلاف الجوي، أُطلق من اليمن باتجاه "إسرائيل".

معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي: قوات اليمن تشكل مصدر إزعاج لإسرائيل فيما القدرة على ردع هجماته محدودة. على الرغم من بعد المسافة مع اليمن، إلا أن هذا يجعل قدرات تل أبيب محدودة أيضًا، وفي ذات الوقت يشجع صنعاء على إيجاد طرق عمل أُخرى، وهذا ما يتطلب التشاور والتنسيق المسبق ليس فقط مع الولايات المتحدة، ولكن أيضًا مع شركاء إقليميين آخرين وعلى رأسهم الإمارات والسعودية.

قناة آي 24 الإسرائيلية: صنعاء تمكّنت من خلط الأوراق، فالهجمات لا تقل خطورة عما يدور في الجبهة الشمالية. إسرائيل كانت أعدت العدة للمواجهة مع حزب الله، بالتزامن مع المعارك في غزة، لكنها تفاجأت بدخول اليمن وهو ما عكس عقارب الساعة.

ذا كونفرزايشن: من المرجح أن يكون لدى الحوثيين صواريخ باليستية أقل من تلك التي يمتلكها حزب الله وحماس، ومن الناحية الواقعية، لديهم فرصة ضئيلة لإلحاق الكثير من الضرر بإسرائيل. عدم دقة الصواريخ يعني أن أي هجوم يشكل أيضًا خطرًا على دول مثل السعودية ومصر والأردن، حيث يمكن أن تسقط هذه المقذوفات في أراضيها وتسبب أضرارًا.

ديفينس نيوز الأميركي: الدرس الأكبر لأعضاء الكونجرس هو التفكير مرتين في الجهود المبذولة لمنع توفير الأسلحة الدفاعية للمملكة العربية السعودية. يشكل الحوثيون تهديدًا رئيسيًا للمملكة، فضلًا عن تهديد متزايد للولايات المتحدة وإسرائيل. وكلما تمكنت السعودية من اعتراض الصواريخ والطائرات بدون طيار المتجهة شمالًا من اليمن، قلّ الجهد الذي يتعين على إسرائيل أن تبذله لهزيمة تلك الهجمات.

شبكة CNBC الأميركية: هناك قلق متزايد من أن الصراع بين إسرائيل وحماس سوف ينتشر في جميع أنحاء المنطقة، مما يجذب المزيد من الجماعات المعادية لإسرائيل. ويبدو أن هذه المخاوف قد تأكدت عندما أطلق المتمردون الحوثيون المدعومون من إيران في اليمن صواريخ وطائرات بدون طيار باتجاه إسرائيل في 19 و31 أكتوبر/تشرين الأول، وهددوا بمزيد من الهجمات ما لم توقف القوات الإسرائيلية حملتها التي تستهدف مقاتلي حماس في غزة.

ذا ناشونال: من الصواريخ الباليستية إلى الطائرات بدون طيار، عزز اليمنيون قدراتهم القتالية منذ بدء الحرب الأهلية في البلاد في عام 2014، مما يشكل تهديدًا خطيرًا لجيرانها. سيكون من الصعب على إسرائيل أن تنتقم على الفور، والولايات المتحدة لن تقصف بشدة بلدًا دمرته تسع سنوات من الحرب وواحدة من أكبر الأزمات الإنسانية في العالم.

جويش نيوز سينديكايت الإسرائيلي: الحوثيون يمتلكون ترسانة كبيرة من الصواريخ الباليستية وصواريخ كروز وصواريخ كروز وطائرات بدون طيار ذات مدى كافٍ لضرب جنوب البلاد. يتمتع الحوثيون بخبرة عملياتية غنية في استخدام هذه الأدوات ضد السعودية والإمارات، ومن المهم أن نضيف أن التهديد يستهدف أيضًا السفن الإسرائيلية في منطقة المندب والسواحل اليمنية.

ماذا في فعالية الهجمات؟

أظهر الاعلان اليمني للدخول رسميًا على خط معركة الساحات، حجم الاستعداد القتالي والعتاد العسكري الذي عمل اليمنيون على تطويره منذ سنوات. والخطة المتسقة التي أسس لها، والبوصلة التي يوجه اليمن قدراتهم نحوها. وهذا كله نابع ومستند من العقيدة الجهادية والبيئة الثقافية والاجتماعية التي أسست عليها الحركة، والأهداف الواضحة التي زرعتها منذ نشأتها. إذ احتلت القضية الفلسطينية وواجب قتال "إسرائيل" خطابات مؤسس الحركة السيد حسين الحوثي، بل حتى وإن الدعوة للمقاومة بكل أشكالها كانت حاضرة أيضًا، ومن بينها الدعوة لمقاطعة البضائع الأمريكية.

ولليمن تجارب وقدرات نجحت في إثباتها خلال العدوان السعودي، إذ حققت ضربات مباشرة ضد مواقع حيوية في المنطقة الشرقية تبعد 1500كلم و2000 كلم. كما أن الصواريخ والمسيرات اليمنية، وصلت إلى أهداف في الخليج من بينها الإمارات، متجاوزة في كثير من الأحيان منظومات الدفاع الجوي الأميركية الصنع.

والجدير ذكره أن منظمات الدفاع الجوي في الخليج هي نفسها التي لدى الكيان الإسرائيلي، مع بعض التحديثات في عدد منها، إلا أن الأعم الأغلب يمتلك نفس الفعالية ضد صواريخ الباتريوت وغيرها من المنظومات الأساسية. وهو ما يعني أن تجارب اليمن وإمكانيتها، تثبت فعاليتها في الميدان. فالصواريخ التي تنطلق من شمالي اليمن باتجاه الأراضي الفلسطينية المحتلة، تبلغ مسافتها ألفين إلى ألفين ومئة كلم. وهي مسافة معقولة بالنسبة للمسيرات اليمنية التي استهدفت مناطق سابقة في الإمارات والمنطقة الشرقية في السعودية. مع الإشارة إلى التطور المستمر في هذه القدرات لكي تصل إلى مسافة 2100 كلم، وهي مسافة كافية كي تبلغ الصواريخ عمق الأراضي المحتلة في صحراء النقب، والقواعد البحرية في إيلات، ومطار رامون في المناطق الجنوبية، وكل هذه النقاط ممكن أن تُستهدف في حال نجحت في المرور فوق السعودية والأردن ولم يتم اعتراضها.

يقول رئيس تحرير صحيفة الثورة اليمنية، عبد الرحمن الأهنومي، إنه فيما يخصّ البعد الجغرافي لليمن عن فلسطين، فإن مشاركة اليمن في تنفيذ الضربات الصاروخية والجوية على الكيان الصهيوني، تعني انفراط عقد المعادلة الأميركية التي تطوّق المنطقة لحماية الكيان الصهيوني، كما تعني اتساعًا لرقعة الحرب وامتدادها إقليميًا، على نحو يهدد المصالح والوجود الأميركي والغربي، ويوسع نطاق الاستهداف كذلك.

ترسانة الصواريخ والمسيّرات

التحليلات ومتابعات الخبراء الإسرائيليين، تناولت الترسانة الصاروخية والمسيرات اليمنية، لتقييم حجم الخطر المقبل من الجبهة اليمنية. في تقرير لصحيفة ذا ماركر العبرية، يقول الصحفي أور هيلر، إن الصاروخ الذي انطلق من شمال اليمن يكفي لوضع "إسرائيل" في نطاق الاستهداف، وهو صاروخ أرض-أرض يزيد مداه على 1000 كيلومتر، ويزن رأسه الحربي مئات الكيلوغرامات. وتنقل وكالة TRT تقريرًا عن مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب الإسرائيلي، يحلل فعالية الصواريخ اليمنية الباليستية من طراز قدس 2 وقدس 3 والتي يتراوح مداها بين 1300 - 2000 كيلومتر، ويمكنها بشكل فعّال إصابة أهداف في "إسرائيل"، التي تبعد عن اليمن أكثر من 1500 كيلومتر.

وضمن هذه الترسانة أيضًا، يأتي صاروخ "طوفان" الذي كشفت عنه القوات اليمنية في سبتمبر الماضي، وهو ما خصصت له قناة آي 24 نيوز العبرية، تقريرًا لشرح فعاليته في معركة إسناد غزة. ويقول التقرير إن أنصار الله يفتخرون بامتلاكهم صواريخ موجهة ودقيقة تمنحهم تفوقًا على خصومهم في المنطقة. ومن بين ترسانة الصواريخ الباليستية والمجنحة، صاروخ "عقيل"، صاروخ "تنكيل"، وصاروخ قدس 4 المجنح الذي يصل مداه إلى 2000 كيلومتر. أما الأكثر أهمية من بين هذه الصواريخ بحسب القناة، فهو "طوفان" الذي يعد صاروخًا موجهًا بعيد المدى مضادًا للدبابات، ويصل مداه بين 1350 – 1950 كيلومترًا، مما يسمح بتهديد المجال الجوي للأراضي المحتلة من الجنوب.

وعلى صعيد المسيرات، ففي ترسانة القوات اليمنية الكثير من النماذج الفعالة القادرة على الوصول لأهدافها، مثل "صماد 3" التي يصل مداها بين 1500-2000 كيلومتر، طائرات "صماد 4" التي يزيد مداها على ألفي كيلومتر، طائرة "وعيد" التي يتراوح مداها بين 2000-2200 كيلومتر، بالإضافة إلى طائرات انتحارية من دون طيار من طراز "شاهد 136"، القادرة على ضرب أهداف على مسافة تصل إلى 2200 كيلومتر، وهي شبيهة بالنماذج الروسية المستخدمة في أوكرانيا.

وعن إسقاط القوات اليمنية طائرة "إم كيو-9" الأميركية المتطورة للرصد والاستطلاع، يرى المحلل في الشؤون الأمنية والعسكرية العميد شارل أبي نادر، أنها تثبت أن الأنظمة الدفاعية الجوية اليمنية الجوية ليست بسيطة ولديها مناورات متصاعدة، بعدما كان لها تجارب سابقًا في إسقاط أكثر من مسيرة أميركية وصينية شبيهة بال"إم كيو-9" القادرة على استطلاع كامل مناطق الشمال اليمني وهي الأكثر قدرة في المنطقة. ولعل النفي الأميركي بداية يوضح أهمية الاستهداف اليمني، وهو ما ألحقته القوات اليمنية بنشر مشاهد لعملية إسقاط الطائرة، ليأتي التعقيب الأميركي بالاعتراف بإسقاط مسيرة تابعة للقوات الأميركية، إذ قال مسؤول أميركي لوكالة أسوشيتد برس إنّ الجيش الأميركي لا يزال يحلّل الحادثة بما في ذلك ما إذا كانت الطائرة من دون طيار في المجال الجوي الدولي أو فوق اليمن، فيما صرح مسؤول دفاعي أميركي آخر لشبكة فوكس نيوز، بأنّ الطائرة العسكرية الأميركية تمّ إسقاطها أثناء وجودها في المجال الجوي الدولي فوق المياه الدولية قبالة سواحل اليمن.

جغرافيا، يبعد اليمن أكثر من 1500 كلم عن جنوب الأراضي الفلسطينية المحتلة. استخدمت القوات اليمنية في هجماتها صواريخ طورتها محليًا من بينها صاروخين باليستيين من طراز "قدس" و"طوفان"، اللذين يمتلكان قدرة المناورة والتخفّي عن الرادارات ومنظومات الدفاع الجوي. لكن الصواريخ اليمنية، سبق وأن اختبرت الوصول إلى هذه المديات خلال سنوات العدوان السعودي على اليمن:

- صاروخ بركان 1 المطور من النسخة الروسية "سكود سي"، وهو صاروخ باليستي يبلغ مداه 900 كلم، وقد تم اختباره مرتين عام 2016، في استهداف الطائف ومطار الملك عبدالله في جدة.
- صاروخ بركان 2، وهو ضمن منظومة صواريخ بركان اليمنية. كشف عن الجيل الجديد عام 2019، وقد طوّر ليصل مداه إلى 1400 كلم، يحمل رأسًا متفجرًا أكبر، ويعمل بالوقود الصلب.

عملت القوات اليمنية على تطوير ترسانتها الصاروخية باستمرار. منذ عام 2020، وبعد توالي تحذيرات القيادة العسكرية اليمنية من إي اعتداءات إسرائيلية في البحر الأحمر، وصولا إلى الإعلان عن صواريخ قادرة على الوصول إلى أهداف حساسة داخل الكيان الإسرائيلي، ومن بينها:

- صاروخ طوفان، يصل مداه بين 1350 و1950 كيلومترًا. ولأن المسافة بين ساحل اليمن وإيلات في الداخل المحتل هي 1580 كيلومترًا، فإن الصاروخ قادر على إصابة أهدافه بدقة.
- صواريخ قدس، "قدس2" و"قدس 3"، و"قدس 4"، وهي منظومة حديثة من الصواريخ بعيدة المدى. يعمل صاروخ قدس بقدرات القصور الذاتي والتعامل مع الأقمار الصناعية ونظام GPS ودقة التوجيه وله قدرة السير على ارتفاعات منخفضة بحيث لا ترصده الرادارات. تصل مدياته ما بين 1350 و2000، أي إلى إيلات، وما أبعد من ذلك، إذ قد تصل إلى حيفا على بعد ألفي كيلومتر، أو تل أبيب على بعد 1940 كيلومترًا، في حال عبورها من الأجواء السعودية في خط مستقيم.

وإلى جانب منظومة الصواريخ الباليستية، طورت القوات اليمنية من منظومات الطيران المسير طوال سنوات العدوان، ونجحت في بلوغ مديات تصل إلى نحو 1500 كيلومتر.

وعن صواريخ كروز التي اعترضتها مدمرة أمريكية كانت تقوم بدورية على طول الساحل الغربي لليمن، يقول موقع نتسيف نت العبري، إن من مميزات صواريخ كروز أنها:

- تحلق بسرعة تصل إلى حوالي 800- 900 كيلومتر/ساعة، أي أسرع بأربعة أضعاف من الطائرات بدون طيار وقريبة من سرعة طائرة الركاب.
- مسار تحليق صاروخ كروز بالقرب من الهدف يكون منخفضًا للغاية، للتهرب من الرادارات وأنظمة الاعتراض.
- يمكن أن يكون مسار طيران صاروخ كروز منحنيًا لتجنب الكشف المبكر.
- الرأس الحربي لصاروخ كروز ثقيل بحدود 450 كيلو جرام، أي أكبر بحوالي 10 مرات وربما أكثر من الرأس الحربي للطائرة بدون طيار.
- صواريخ دقيقة للغاية تبلغ دقة تأثيرها حوالي 10 أمتار من الهدف.

باب المندب على خط التهديدات

في 14 نوفمبر 2023، أعلن قائد أنصار الله السيد عبدالملك الحوثي عن تصعيد جديد في خطوط المواجهة، معلنًا أن العيون مفتوحة "للرصد الدائم والبحث عن أي سفينة إسرائيلية في البحر الأحمر وباب المندب تحديدًا وما يحاذي المياه الإقليمية اليمنية"، ومشيرا إلى أن "الإسرائيلي يعتمد في حركته في البحر الأحمر من باب المندب على التهريب والتمويه ولم يجرؤ أن يرفع الأعلام الإسرائيلية على سفنه، في الوقت الذي يرفع فيه العدو الأعلام الإسرائيلية في سفاراته في دول عربية"، مؤكدًا أن القوات اليمنية ستظفر بسفن العدو الإسرائيلي في البحر الأحمر وستنكل بهم من دون تردد.

يُعدّ مضيق باب المندب من أهم الممرات الملاحية في العالم، يمثل همزة وصل بين أفريقيا وآسيا وأوروبا، ويعد الطريق الرئيس لمرور التجارة بين أوروبا وجنوب شرق آسيا، إذ تمر عبره ناقلات بترول تمثل 40 في المئة من التجارة العالمية في النفط، كما يعدّ إحدى نقاط الاختناق البحرية لكل ممرات الطاقة والشحن التجاري في العالم. يعتبر المضيق أساسيًا ضمن مبادرة "طريق الحرير" الصينية، ولا يمكن الإغفال عن الأطماع الإسرائيلية للسيطرة على الأمن البحري في المحيط الهندي والبحر العربي والأحمر. وعليه، فإن الأميركي ومن وراءه الإسرائيلي، يحرصان كل الحرص على تحييد الممر العالمي عن المعادلات اليمنية.

وفي هذا السياق، ينقل الصحفي روعي كايس من هيئة الإذاعة والتلفزيون الإسرائيليّة كان 11 ما كشفه مسؤولون أمريكيون من أن "الطائرة بدون طيار التي أطلقها الحوثيون في البحر الأحمر كانت تستهدف السفينة التي اعترضتها وليس إسرائيل". بمعنى آخر، بدأ التهديد بمهاجمة السفن الإسرائيلية والأمريكية في البحر الأحمر يتحقق.

الرد الأميركي جاء برسائل عاجلة حملها الحليف السعودي إلى أنصار الله، إذ قدم "مغريات" مقابل تخلي القوات اليمنية عن إسناد غزة، لكن الرد اليمني جاء مخالفًا للترغيب والتهديد. تقول مصادر صحيفة الأخبار اللبنانية، إنه "بعد ذلك العرض الذي سبق بدء القصف اليمني على الأهداف الإسرائيلية، نقلت سلطنة عُمان من الولايات المتحدة رسائل تتضمّن تهديدات للجانب اليمني إذا ما استمرّ في قراره المشاركة في معركة

الدفاع عن غزة، بتدفيع اليمن أثمانًا باهظة، منها تراجع التحالف السعودي - الإماراتي عن الهدنة غير الرسمية المعمول بها حاليًا، والعودة إلى الحرب مجدّدًا، وبمشاركة مباشرة من واشنطن هذه المرّة". ولعل خطاب السيد الحوثي كان ما فيه من رسائل للأمريكيين، مع تأكيده أن اليمنيين ليسوا ممّن يتلقّى توجيهاته من أميركا أو يخضعون لأوامرها.

وفي 19 نوفمبر 2023، أعلنت القوات المسلحة اليمنية أنّ قواتها البحرية اليمنية نفّذت عملية عسكرية في البحر الأحمر كان من نتائجها احتجاز سفينة إسرائيلية، مجددة التحذير من أن السفن التابعة للعدو الإسرائيلي والتي تتعامل معه ستصبح هدفًا مشروعًا. وبهذا، يكون اليمن قد فرض قواعد اشتباك جديدة.

تقول مصادر صحيفة الأخبار اللبنانية، إن "البحرية اليمنية كانت على علم بعبور السفينة، على الرغم من أن الأخيرة أُحيطت من قِبل القوات البحرية المشتركة المتعدّدة الجنسيات بأطواق من الإجراءات التمويهية والتضليلية". لكن العملية كانت على قدر من الحرفية بحسب ما يجمع خبراء عسكريون، إذ دخلت القوات اليمنية في بيئة معادية ومراقبة من قبل دول كبرى بأحدث التقنيات. ورغم ذلك، تمت السيطرة على السفينة وسحبها إلى سواحل اليمن بحماية من الزوارق اليمنية وجهوزية عالية من القوات الجوية بصواريخها ومسيراتها. وعليه فإن التحالف المتعدد الجنسيات الذي تقوده واشنطن، تحت مزاعم حماية الأمن البحري من الإرهاب وأعمال القرصنة، وجد نفسه وجهًا لوجه مع تحدي القوات اليمنية واستعدادها للاشتباك المباشر المسلح، وهو ما لا مصلحة لهذا التحالف في هكذا تطور، قد يشعل معركة البحار ويغلق المضيق التي تمر من خلاله 10 % من التجارة العالمية، مع ما له من تداعيات على حركة المرور البحرية.

التداعيات والآثار

يمثل البحر الأحمر شريانًا رئيسًا للتبادل التجاري بين الكيان ودول إفريقيا وآسيا، وقطع هذا الشريان يعني تحويل السفن القادمة من آسيا لمسارها والمرور عبر رأس الرجاء الصالح ومضيق جبل طارق مرورًا بالبحر الأبيض المتوسط، والسفن التي تنطلق من سواحل الكيان عليها العبور أيضًا بنفس الخط. وهو ما تحقق فعلًا عقب عملية الاحتجاز، إذ أظهرت بيانات شحن وشركة أمبري البريطانية للأمن البحري أن سفينتين تجاريتين حولتا مسارهما في البحر الأحمر وخليج عدن، مرتبطتان بنفس الشركة، التي سيطرت عليها القوات اليمنية.

بلغة الأرقام، يتم استيراد أكثر من 70٪ من المواد الغذائية عن طريق البحر، وبشكل رئيسي 85٪ من الماشية التي تصل بسفن عبر موانئ إيلات وأشدود وحيفا، عبر طرق باتت مهددة من قبل أنصار الله. ويشير نير غولدشتاين، مدير عام معهدGFI، (The Good Food Institute Israel)، إلى عدم القدرة على ضمان الإمدادات الغذائية للكيان في أوقات الطوارئ. كما تحدث تشن هيرتسوغ، كبير الاقتصاديين في BDO Consulting، عن عواقب واسعة النطاق للتصعيد اليمني، من بينها الزيادة في أسعار الشحن والتأخير المحتمل لمواعيد الشحن، والقلق على المنتجات التي تصل إلى عبر البحر الأحمر إلى ميناء إيلات، وخاصة المركبات الآتية من موانئ الشرق.

وهذا ما تؤكده صحيفة إسرائيل هيوم إذ تقول إن شركات ملاحة بحرية أوقفت التعامل مع الكيان الإسرائيلي فيما من لا يزال يمده بالسفن الغذائية رفع بشكل كبير رسوم التأمين وأسعار النقل وهذا يعني أنه على أقل تقدير سترتفع أسعار الغذاء 40%، خاصة للحوم والبيض، أو قد تنقطع إمدادات هذه السلع

بشكل كامل. وتوضح سونيا غورودوفسكي، مراسلة الشؤون الاقتصادية في الصحيفة، أن الخشية الرئيسة هي من الزيادة في أسعار الشحن البحري بسبب الزيادة في تكلفة التأمين وإلغاء الخطوط إلى "إسرائيل"، وهذا بدوره قد يؤدي إلى زيادة في أسعار المنتجات المستوردة عن طريق البحر.

وفي سياق الخسائر المتوالية على الكيان يرى موقع " ذا ماركر" العبري أن أنصار الله يهددون ثلث صادرات شركة ACL من البوتاس من الكيان الإسرائيلي، وأن قدرتهم على سدّ الدخول والخروج إلى البحر الأحمر يمكن أن يعرّض للخطر قدرة ACL على استخدام هذا الطريق البحري. وعليه، قد تضطر الشركة إلى نقل صادرات البوتاس إلى شرق آسيا عبر ميناء أشدود وتتكبد بالتالي تكاليف كبيرة، يضاف إلى ذلك توسّع نطاق الوقت للإبحار لمدة أسبوعين إضافيين على الأقل عبر رأس الرجاء الصالح، إضافةً إلى زيادة أقساط التأمين على البضائع.

إذًا فإن التداعيات الأبرز لتهديد السفن الإسرائيلية في باب المندب هي:

1. تهديد التجارة البحرية في الكيان الذي يتخذ من طريق البحر الأحمر ممرًا للوصول إلى شرق آسيا.
2. رفع أسعار رسوم التأمين لحاويات النقل ما سينتج عنه ارتفاع في أسعار الشحن البحري وبالتالي عزوف ومقاطعة من الشركات المتعاملة مع الكيان.
3. رفع أسعار الغذاء 40% خاصة للحوم والبيض التي قد تنقطع إمداداتها أو تهدد كمياتها.
4. تأخر في التزامات التسليم، مع توسع نطاق الأبحار لأسبوعين إضافيين بعد تحويل المسار في البحر الأحمر وخليج عدن.
5. تهديد التواجد الإسرائيلي في هذه المنطقة التي يستخدمها كقاعدة تجسسية.
6. تجميد وعرقلة مشاريع التطبيع الاقتصادي بين الكيان ودول التطبيع.

الخليج يساند إسرائيل

في ورقة بحثية بعنوان "حصار الكيان في باب المندب التأثير والتداعيات"، يقول رضوان عمري إن "العمليات التي قامت بها القوات المسلحة اليمنية سيكون لها تأثيرات كبيرة على الكيان الصهيوني على كل المستويات، وللعلم فإن صنعاء لم تفعّل ورقة إغلاق مضيق باب المندب في ذروة العدوان على اليمن خلال السنوات الثمان الماضية، إلا أنها فعّلتها هذه المرّة نصرةً لأبناء الشعب الفلسطيني".

تقول صحيفة ميدل إيست آي في مقال بعنوان مخاطر الاستهانة بالتهديد الحوثي، إنه "لا يزال احتمال تصاعد الصراع، بما في ذلك التهديدات للقواعد الأمريكية ودول الخليج وطرق الشحن الحيوية. لدى "الحوثيين" تاريخٌ راسخٌ في استهداف ناقلات النفط والبنية التحتية في البحر الأحمر، وقد هددوا مرة أخرى بمهاجمة السفن الإسرائيلية هناك. وهذا يؤكد قدرتهم على تعطيل التجارة والأمن الإقليميين. وقد ركز خطابهم بشكل متزايد على الإمارات بسبب علاقاتها الدبلوماسية مع "إسرائيل". وقد يؤثر هذا التصعيد بشدة على اقتصاد دول الخليج وأمنها، وربما يعكر صفو أسواق النفط العالمية، ويؤثر على ديناميكيات الصراع في اليمن".

ومنذ عملية طوفان الأقصى، شهدت الحدود اليمنية السعودية تصعيدًا أسفر عن سقوط عدد من القتلى في صفوف التحالف السعودي. قدّمت صنعاء عرضًا للرياض يتعلّق ببند تعويضات حربها على اليمن، مقابل السماح للصواريخ والطائرات المسيّرة اليمنية بالمرور من أجواء السعودية لقصف الكيان، إلا أن الرد كان بالرفض. وفي اللحظات الأولى لتنفيذ الضربات، بادرت القيادة اليمنية إلى طمأنة الجانب السعودي أن الصواريخ والمسيّرات لا تستهدف المملكة، لكن رد السعوديين كان صادمًا تقول المصادر، إذ عبّرت القيادة السعودية عن رفضها المطلق لأي عمليات تستهدف الكيان من أجوائها، واعتبرتها انتهاكًا لسيادتها وتصعيدًا عسكريًا. وذهبت الرياض لأبعد من ذلك، إذ أبلغت الأميركيين والإسرائيليين بشأن العملية، وقامت بتسهيل اعتراض الصواريخ والمسيّرات. وفضلًا عن ذلك، طالبت بمنظومة دفاعية لصدّ أي هجمات جديدة، وهو ما قوبل بإدانات يمنية.

وعن هذا يقول روعي كايس، المتخصص بشؤون العالم العربي في قناة "كان" الإسرائيلية، إن الكثير من الدول في المنطقة تخشى أن تدخل إلى حلقة إطلاق النار، ومن بينهم الأردن الذي طالب بتزويده ببطاريات باتريوت للغرض نفسه، رغم أن صنعاء أبلغت هذه الدول بنيّتها استهداف الكيان. وفي مقدمة القائمة كذلك، الإمارات التي تخشى من أن الرد الإسرائيلي على صنعاء قد يؤدي إلى اتساع حجم الحرب.

كيف تفاعل الإعلام السعودي مع الإعلان اليمني؟

بالإضافة إلى أهمية المعادلة التي أرستها الجبهة اليمنية في معركة إسناد المقاومة الفلسطينية، قوبل الإعلان اليمني بالتدخل في مواجهة العدوان على غزة، بالترحيب الفلسطيني الرسمي والشعبي.

لكن الموقف الخليجي والسعودي كان متماهيًا مع الموقف الأمريكي والإسرائيلي. وإن كان الموقف الرسمي لم ينتقد صراحة التدخل اليمني، إلا أن رسائل الإعلام اتجهت نحو محاولة خلق تفرقة بين اليمنيين حول الموقف الموحد من دعم فلسطين.

إلى ذلك، حرك التحالف السعودي أدواته لإدانة الموقف اليمني الداعم لفلسطين. وتحت مظلة الخوف من رد أمريكي – إسرائيلي على الهجمات اليمنية وإعادة تفعيل الجبهة اليمنية ميدانيًا بعدما شهدته من هدوء نسبي، جاء موقف رشاد العليمي، رئيس الانتقالي، أمام القمة العربية والإسلامية الطارئة في الرياض، الذي دان مشاركة حكومة صنعاء في معركة إسناد غزة.

كذلك عمل الإعلام السعودي على أكثر من جبهة، فيما يلي نستعرض نماذج من تغطية الإعلام السعودي للمشاركة اليمنية في معركة وحدة الساحات:

- تداعيات الموقف اليمني على الأزمة الاقتصادية:

في مقال لصحيفة الشرق الأوسط، بعنوان "مخاوف من تأثيرات عميقة لحرب غزة على معيشة اليمنيين، وسط مغامرات الحوثيين ومساعي الإصلاح الحكومية"، كتب وضاح عدن: "بينما يترقب اليمنيون بقلق التأثيرات الاقتصادية للحرب الدائرة في قطاع غزة، خصوصًا بعد إعلان الجماعة الحوثية دخولها على خط الأحداث، طرأ اضطراب جديد في سعر العملة المحلية (الريال اليمني)، وتأثرت الأسعار بحملات جباية حوثية تحت مسمى التبرع لغزة، في وقت تسعى فيه الحكومة الشرعية لإجراء إصلاحات اقتصادية

جذرية". تصف الصحيفة الموقف اليمني "بالمغامرة" وتحاول أن تظهر ارتداداتها العكسية على الداخل اليمني من خلال استغلال الأزمة الاقتصادية التي تسبب بها العدوان على اليمن.

- إظهار أن المجاهدين اليمنيين الداعمين لفلسطين، ما هم إلا مرتزقة تدفع لهم مقابل مشاركتهم العسكرية:

تقول الشرق الأوسط تحت عنوان: "«الدفاع عن غزة»... مدخل حوثي لتجنيد المهمشين": استغلت الجماعة الحوثية في اليمن الأحداث المتصاعدة والأليمة في غزة لتحقيق أجندتها الانقلابية، وبدأت إطلاق حملة تجنيد في صفوف فئة المهمشين من ذوي البشرة السوداء، وخصصت مبالغ مالية للاستقطاب في صنعاء وإب. تزعم الجماعة أن حملة التجنيد التي أطلقتها حديثًا في أوساط المهمشين، وغيرهم من الفئات بمناطق سيطرتها، تأتي دعمًا للقضية الفلسطينية، وأنها ستقوم بنقلهم إلى فلسطين للقتال. بينما يتهم سياسيون في صنعاء الجماعة الحوثية بأنها تسعى إلى استغلال الأحداث لتعويض النقص في أعداد مقاتليها الذين فقدتهم في المعارك في عدة جبهات، بعد اتساع رفض أبناء المجتمع والقبائل اليمنية مدها بمقاتلين جدد.

وتقول تحت عنوان: " «نصرة غزة»... شعار يغري انقلابيي اليمن بتجنيد الأطفال المتسولين": لجأت الجماعة الحوثية أخيرًا إلى تصعيد إجراءاتها المزعومة لمكافحة التسول، وحسب ناشطين؛ فإن هذا التصعيد يهدف إلى استغلال المتسولين ضمن مزاعم المشاركة في الدفاع عن غزة في وجه الاعتداءات الإسرائيلية، ويجري إلزام زعماء عصابات التسول بدفع إتاوات تحت اسم تبرعات لأهل غزة، مقابل التغاضي عن أنشطتهم، بينما يتم اقتياد الأطفال إلى المعسكرات.

- إظهار أن اختطاف السفينة الإسرائيلية هو تهديد لأمن الملاحة الدولية ولن يفيد القضية الفلسطينية:

تقول الشرق الأوسط تحت عنوان "«القرصنة الحوثية» تثير استياءً يمنيًا وتعزّز المخاوف في البحر الأحمر": أثارت حادثة قرصنة الجماعة الحوثية لإحدى السفن التجارية الدولية في البحر الأحمر استياءً واسعًا في الأوساط اليمنية؛ لجهة ما يمكن أن يجلبه هذا السلوك من مخاطر على اليمن والجوار الإقليمي، بما في ذلك استغلال هذه التطورات من قِبل الجماعة للتهرب من استحقاقات مساعي السلام.

وتقول الشرق الأوسط تحت عنوان: " اليمن: قرصنة سفينة «غالاكسي ليدر» إرهاب إيراني بالوكالة": ندّد الاتحاد الأوروبي، ابقرصنة الحوثيين سفينة الشحن الدولية «غالاكسي ليدر»، ودعا إلى الإفراج الفوري عنها وعن طاقمها، بينما وصفت الحكومة اليمنية الحادثة بأنها إرهاب إيراني بالوكالة، داعية الدول المشاطئة للبحر الأحمر إلى مواجهة ما أسمته «عبث طهران».

يقول موقع قناة العربية تحت عنوان: "شمال اليمن قنبلة موقوتة": ليس احتجاز الحوثيين لسفينة في البحر الأحمر، بحجّة أنّها إسرائيلية، سوى دليل على مدى خطورة هذه المجموعة على اليمن نفسه وعلى الاستقرار الإقليمي وحتّى الدولي. يظلّ الأخطر من ذلك كلّه أنّ اليمن تحوّل شوكة في خاصرة دول الجزيرة العربيّة في غياب قدرة السيطرة عليه. شمال اليمن الذي يسيطر عليه الحوثيون، وبالتالي إيران، إلى قنبلة موقوتة يستحسن التنبّه إلى المخاطر الناجمة عنها، المرشّحة لأن تنجم عنها منذ الآن.

في خلاصة القول، السعودية ليست راضية عن الموقف اليمني الداعم لغزة. فهي لا تريد جبهة على حدودها تفتح ضد الكيان الإسرائيلي وصواريخ ومسيرات تعبر أراضيها باتجاه الأراضي المحتلة، وهي التي تواصل مفاوضات التطبيع معه.

ولهذا سعت إلى تقليب الداخل اليمني ضد القوات اليمنية، وإظهار أن هذا الانخراط العسكري يهدد مساعي السلام وإنهاء الحرب في اليمن، وله تداعياته على الأزمة الاقتصادية في البلاد، وصولًا إلى تبني الرواية الإسرائيلية الأمريكية، بأن الموقف اليمني تقف خلفه إيران، وإطلاق التهديدات بأنه لا بد من رادع لأنصار الله التي باتت تتحكم بالقرار في اليمن.

الانعكاسات على عملية التفاوض

كيف ستنعكس المشاركة اليمنية في معركة وحدة الساحات على مسار المفاوضات اليمنية؟

قبل 7 من أكتوبر، كانت مفاوضات إنهاء العدوان على اليمن قد وصلت إلى خواتيمها. وكانت اللجان المشتركة التي أنشأت لحلحلة الملفات العالقة تعمل للخروج بنتائج نهائية. لكن ما بعد تاريخ عملية طوفان الأقصى وانضمام اليمن إلى معركة إسناد غزة أمر آخر.

بعد حوالي شهر من العدوان على غزة، عاد الحديث على نطاق واسع عن قرب توقيع اتفاق يمني – سعودي. ورغم أن هذا الحديث تداولته الأوساط اليمنية بشكل واسع، إلا أنه لم يتردد بين الأروقة السياسية في عاصمتي الدولتين.

التوقعات بنيت على مؤشرات عدة، من بينها ما تداولته شخصيات محسوبة على التحالف عن اتفاق قريب بين الرياض وصنعاء، رغم تطور الأحداث في غزة. تنقل صحيفة الشرق الأوسط السعودية عن مصدر يمني رفيع أن التحركات الأخيرة في جهود السلام التي تقودها السعودية تتمحور حول خريطة السلام الأولى التي قُدمت في رمضان الماضي، بعد إجراء تعديلات وملاحظات عليها. مصادر دبلوماسية يمنية صرّحت لصحيفة الأيام اليمنية أن نائب وزير الدفاع السعودي خالد بن سلمان، سلّم رئيس المجلس الرئاسي وأعضاءه، خلال لقاء عقده معهم في العاصمة السعودية، مسوّدة شاملة بشأن مسار السلام في اليمن. لكن ما ورد في المسودة لم يأت بجديد، خاصة وأنه حمل مطالب الوفد اليمني المفاوض نفسها التي نقلت إلى الجانب السعودي خلال زيارة السفير السعودي محمد آل جابر للعاصمة اليمنية. لكن أوساطًا أخرى، تشكك في قدرة المملكة على التملص من القيود الأميركية والذهاب لتوقيع اتفاق مع أنصار الله بعيدًا عن مظلة واشنطن. وترى أن الحراك الحالي شأن داخلي بين الرياض وحلفائها.

وعليه، فإن المفاوضات تبقى مرهونة بالموافقة الأمريكية على فصل الملف اليمني الداخلي عن تطورات الجبهة الفلسطينية، وهو ما لا يبدو ممكنًا حاليًا، في ظل التصعيد اليمني المتواصل في الجبهة الجنوبية مع الكيان الإسرائيلي. رغم أن للسعودية رأيًا آخر، وهي التي ترى أن الفرصة ذهبية لطي صفحة العدوان، والخروج بأقل خسائر ممكنة، في ظل انشغال العالم بتطورات المعارك في غزة، وهذا ما يمكّنها من إتمام الاتفاق بعيدًا عن لفت الأنظار.

في المواقف الأمريكية، عملت إدارة البيت الأبيض على أكثر من جبهة، إذ اتصالاتها مع الوسيط العماني في محاولة لمنع توسع رقعة الصراع في المنطقة. وأجرى الرئيس جو بايدن اتصاله الأول مع سلطان عمان هيثم بن طارق في هذا الشأن، ليأتي الاتصال الثاني بعد أيام، عقب استهداف القوات اليمنية للمسيرة الأمريكية "أم كيو 9" فوق المياه الإقليمية لليمن.

وإلى جانب القنوات السياسية، كشفت صحيفة جويش إنسايدر عن حملة يقودها 40 نائبًا من الحزبين الجمهوري والديموقراطي لإعادة تصنيف أنصار الله كمنظمة إرهابية على خلفية الهجمات الأخيرة. وهي خطوة قد تكون استباقية لشرعنة أي رد أميركي على هذه الضربات.

وإلى جانب انتشار قواتها العسكرية البحرية في المياه الإقليمية المحاذية للأرضي المحتلة في البر الأحمر، فقد استعانت واشنطن أيضا بحلفاء عرب لصد كثافة الهجمات، ومن بين هذه الدول السعودية والإمارات والأردن. ولم تقف هذه المساعدة على المشاركة في رصد الصواريخ والمسرات فحسب، بل تضمن أيضا تقديم الدعم اللوجيستي للقواعد الإسرائيلية في المنطقة، باعتراف رسمي من هذه الدول.

وعن الخطوات العسكرية التي ممكن أن تلجأ إليها واشنطن، تقول صحيفة الغارديان البريطانية، إن الخطط المتقدمة للسعودية للتوصل إلى اتفاق سلام مع أنصار الله في اليمن تتعرض للخطر، وإن هناك تقارير تفيد بأن الولايات المتحدة مستعدة لشن هجوم على المواقع العسكرية في العاصمة صنعاء وما حولها، بالإضافة إلى غرفة عمليات الموانئ، ما لم يتم إطلاق سراح السفينة المختطفة جالاكسي ليدر.

في هذا الوقت، عملت واشنطن على خطٍ موازٍ في مسعى لاحتواء الانخراط اليمني في محور وحدة الساحات ضمن محور المقاومة في المنطقة. وفيما كانت مؤشرات توسع الحرب تتوالى، كانت تسجل تحركات مكوكية للمبعوث الأميركي إلى اليمن تيموثي ليندركينغ، والسفير الأميركي ستيفن فاجن. لقاءات عقدها الطرفان مع القوات التابعة للحكومة الموالية للسعودية، والمجلس الانتقالي المدعوم إماراتيًا، وباقي المليشيات المسلحة، في سبيل طي صفحة الخلافات مؤقتًا ورص الصفوف لمواجهة التطورات الحاصلة واتخاذ إجراءات في عدد من المناطق العسكرية. الترتيبات الأميركية كانت تصب كلها في إطار واحد: البحث في أمن الملاحة البحرية في باب المندب. وفي هذا السياق، كانت اللقاءات التي عقدها السفير الأمريكي مع كل من العميد طارق صالح، رئيس ما يسمى "المكتب السياسي للمقاومة الوطنية" وهي الفصائل المنتشرة في أجزاء واسعة من الساحل الغربي وباب المندب، ورئيس "هيئة الأركان العامة" صغير بن عزيز الذي زار العاصمة الأمريكية واشنطن بدعوة أمريكية.

إجراءات في مواجهة اليمن

يرى معهد الشرق الأوسط أن الهجوم اليمني في البحر الأحمر سيكون له عدد من التداعيات على اليمن والمنطقة والأمن الإقليمي والدولي ومن بينها:

أولًا، سيعيد جناح أنصار الله، بغض النظر عما إذا كانت محادثات السلام المستقبلية ستتقدم أم لا وكيف ستتقدم، التأكيد على الأولوية الاستراتيجية للعلاقات بمشروع محور المقاومة.

ثانيًا، لن يؤدي موقع الهجمات إلى مزيد من عسكرة المياه اليمنية والجزر في البحر الأحمر والعربي فحسب، بل سيؤدي أيضًا إلى التزام طويل الأمد بتعزيز الردع وحرية الملاحة وعمليات الاعتراض.

ثالثًا، من غير الواضح كيف سيؤثر الهجوم على الديناميكيات السعودية اليمنية، ولكن من شبه المؤكد أن الطريق إلى سلام مستدام وعادل في اليمن لا يزال بعيدًا عن الأنظار.

رابعًا، من المرجح أن تُظهر الولايات المتحدة وشركاؤها التزامًا موسعًا بتعميق الدعم العسكري والأمني للقوات الموالية للتحالف وتحديدًا المتمركزة على طول البحر الأحمر تحت قيادة المجلس الانتقالي.

خامسًا، لم يتغير موقف اليمن تجاه القضية الفلسطينية، ولكن يبقى أن نرى ما إذا كان اليمنيون قادرين على تحقيق مكاسب طويلة الأجل، داخليًا وخارجيًا.

وعن الرد المحتمل على اليمن، يقول مركز القدس للشؤون العامة العبري، إن الجيش الأمريكي اعترض الصواريخ والطائرات بدون طيار التي أطلقت من اليمن على "إسرائيل"، لكن هذا لا يعني أن "الجيش الإسرائيلي" لن يرد في المستقبل. وعلى الرغم من المسافة الكبيرة، فإن الذراع الطويلة لسلاح الجو الإسرائيلي يمكنها الوصول إلى اليمن. وتمتلك "إسرائيل" أيضًا وسائل للدفاع ضد الصواريخ والطائرات بدون طيار التي تطلق من اليمن، ويمكنها اعتراضها بالطائرات المقاتلة أو المنصات البحرية أو أنظمة الدفاع الجوي "مقلاع داود" و"القبة الحديدية".

أما عن البحر الأحمر، فإن من بين حوالي 1500 سفينة تعبر المضيق كل شهر، قد تكون هناك عشرات السفن التي يمكن ربطها بالكيان الإسرائيلي، ما يعرّضها بالتالي لخطر الاختطاف، فهل يمكن منع القوات اليمنية من الاستيلاء على المزيد من السفن؟

الجواب بحسب تحليل إعلامي لمجلة النجوم، "ربما لا، لكن خيارات منع المزيد من عمليات الاختطاف تقتصر على ثلاثة: 1) إرسال سفن مسلحة لمرافقة حركة المرور التجارية، 2) تدمير القدرة الهجومية "للحوثيين" في البحر أو الحد منها بشدة، 3) وإقناعهم بالامتناع عن الهجوم". بالنسبة للخيار الأول فإن توفير دوريات بحرية مسلحة ممكن فقط من أمريكا في ظل انكفاء الجانب المصري وسعي الجانب السعودي لتثبيت الهدنة الهشة. ورغم نشر الأخيرة للعديد من الأصول في الشرق الأوسط منذ عملية طوفان الأقصى، إلا أن الخيارات محدودة، فالـ"السفن الوحيدة التي يمكن استخدامها لمرافقة السفن التجارية هي تلك السفن المتجمعة حول حاملة الطائرات البرمائية "يو إس إس باتان"، المتواجدة حاليًا جنوب السويس مباشرةً. ومن شأن نقلها جنوبًا، أن يضعف قدرة الولايات المتحدة على الرد على أي تصعيد حول غزة". والخيار الثاني المتاح هو استهداف مباشرة للموانئ اليمنية من قبل واشنطن وتل أبيب، وهو خيار محفوف بالمخاطر إذ "من المعروف أن الحوثيين مستعدون لمواجهة أعداء أقوى". وهذا ما يقود إلى الخيار الثالث، وهو وقف التصعيد الذي "قد يكون السبيل الأكثر واقعية في حال فقد أظهرت جميع الأطراف المعنية ضبط النفس".

أما بالنسبة للسعودية، فإن الانخراط اليمني في معركة وحدة الساحات تجعل صفقة إنهاء الحرب مستحيلة. ويساور القلق المسؤولين السعوديين من أن يتم تصنفيهم في المحور الأمريكي الإسرائيلي في ظل الموقف المتخاذل في دعم القضية الفلسطينية. وعليه، فإن ما كانت تراهن عليه الرياض لطي صفحة العدوان والخروج من المستنقع اليمني قد لا يكون قريبًا. من هنا يمكن القول، إن السعودية ترى من مصلحتها الحالية الوقوف في صف المحور المعادي للمقاومة الفلسطينية والمؤيد للقضاء عليها، إلى جانب ما يترتب على هذا الدعم من تمويل وتسهيل وتحشيد عسكريين للكيان الإسرائيلي.

خلاصات

أهمية التدخل اليمني أنه يمتلك دورًا مزدوجًا ممكن أن يلعبه في معركة وحدة الساحات إسنادًا لغزة. فمن ناحية، ممكن أن يكون دوره مباشرًا في التأثير على الكيان من خلال الضربات المباشرة، لتكون معركته

شبيهة بالتي يخوضها حزب الله في الجبهة الشمالية، أو على شاكلة النموذج العراق، من خلال استهداف القواعد الأميركية في المنطقة.

ومن خلال موقعه الجيو استراتيجي، يمتلك اليمن مصادر قوة تمكنه من لعب دور هام في هذا السياق، ويعطيه مقدرة على استهداف السفن الإسرائيلية والأمريكية في البحر الأحمر وبحر العرب وخليج عمان، وتحديدًا في إحدى أهم الممرات العالمية، باب المندب.

وبالإضافة إلى موقع الاستراتيجي، فإن القوات اليمنية قد راكمت من مخزونها العسكري حتى باتت تمتلك قدرات نوعية من صواريخ باليستية ومسيرات أثبتت كفاءتها في معركة مواجهة العدوان السعودي.

في الخلاصة، ساهمت العمليات اليمنية في إسناد محور المقاومة من الجبهة الجنوبية، وكان لها أهميتها البالغة على معركة وحدة الساحات. وإلى جانب الرصيد المعنوي الذي أضافته هذه المشاركة، وارتفاع أسهم اليمنيين لدى الجماهير الشعبية الداعمة لخيار مقاومة الاحتلال، كان لهذه المشاركة أيضا انعكاسات فرضت نفسها على الحسابات الأمريكية – الإسرائيلية، وما ورائها الخليجية – العربية، وذلك من خلال:

- فتح جبهات عدة في غزة والضفة ولبنان واليمن والعراق ضد الكيان، ما يؤدي إلى إضعافه وتشتيته. فضلا عن تهديد المصالح الأمريكية مع العمليات العراقية والسورية تجاه الوجود الأمريكي في المنطقة.

- فتح جبهة البحر الأحمر وتهديد الوجود الإسرائيلي في هذه المنطقة وتعطّل مصالحه وفي مقدمتها الاقتصادي، ما سيخلّف آثارًا سلبية داخلية.

- زيادة التهديدات على المستوطنين من خلال الصواريخ التي تصل من أكثر من جبهة، وتستهدف مناطق مختلفة من الكيان.

- فضح مشروع التطبيع وعودة خيار المقاومة كسبيل وحيد لمواجهة الوجود الإسرائيلي، مع تثبيت اليمن كرقم فاعل في معادلة وحدة الساحات.

- تشتيت منظومات الاعتراض الصاروخية الإسرائيلية مع تعدد الجبهات، ما يخلق حالة من الارتباك العسكري بسبب فرض أولويات للمناطق التي يجب أن تغطيها أنظمة الدفاع الجوي وتوزيع بطاريات باتريوت.

- إظهار فشل منظومات الاعتراض الصاروخية الأمريكية والإسرائيلية في منع وصول الصواريخ والمسيرات الانتحارية. وإظهار فشل الاعتماد عليها وهي التي تتسابق دول الخليج للحصول عليها، ومن بينها منظومات "آرو" و"باتريوت" و"ثاد".

- دخول اليمن كلاعب فاعل في الجيوبوليتيك الإقليمي الذي يجعله قوة حيوية في مستقبل الأمن الإقليمي والدولي.